محمود سليمان الظاظا

على ضفاف الحروف

شعر

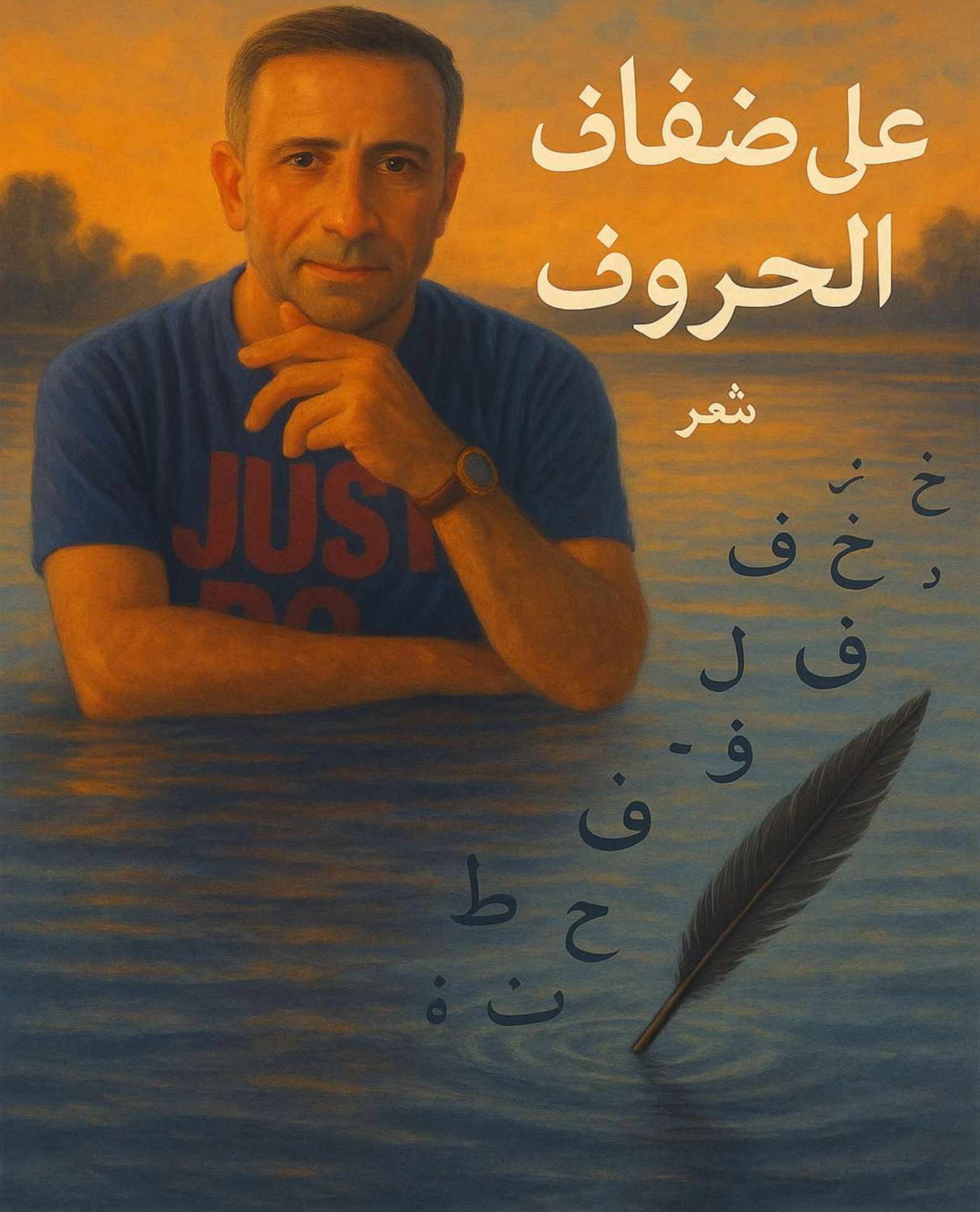

على ضفاف الحروف

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

على ضفاف الحروف

محمود سليمان الظاظا

في بحرٍ لا شطآن له، كانت الحروف مجاديف روحي، والمجاز هواءً أتنفّسه. هنا، حيث تسكن الكلمة وتتهجّى القصيدة أنينها، أنثر قلبي على الورق، وأترك للحبر أن يكون شاهداً على دهشة الحياة، وتقلّبات الروح، وانكسارات الضوء في عيون الأيام.

هذا الديوان ليس مجرّد قصائد، بل محطات تأمل، وعناق صامت بين وجعٍ وحنين، بين وطنٍ نحمله فينا، وحبٍ يُعاند الغياب. كل حرف هنا نبت من تربة شعور، وسُقي بندى التجربة، فصار قصيدة تنبض بما لا يُقال، وتهمس بما يعجز الصمت عن كتمانه.

"على ضفاف الحروف" هو دعوة للتوقف قليلًا عند ضوء المعنى، وللسير بين السطور كما نسير على شاطئ ذكريات قديمة... نلامس الموج، ونبتلّ بالحنين.

أهدي هذا الكتاب...

إلى كل من يقرأ بقلبه قبل عينيه،

وإلى الحروف... التي حملتني إلى الضفاف التي كنت أبحث عنها.

محمود سليمان الظاظا

يوليو 2025

1

شمس الأفكار

تدور في رأسي
كأنها الشمس
تسري بهدوءٍ
حول الأرض...
تنثر النور
في زوايا الصمت.

2

الكون في قلمي

سأخترقُ كلَّ الشعراءِ
في زماني،
واحدًا…
واحدًا،
بأفكاري التي تُشبهُ
سُحُبَ الكونِ
الشاسعِ،
الواسعِ
حتى الأبديّة...

سأخترقهم

واحدًا...

واحدًا،

شاءَ من شاءَ،

وأبى من أبى.

3

دمٌ على نُصال الغدر

وَهَبوا ثرواتهم الطائلة،

ومقدّرات أوطانهم الضخمة،

لإنعاش اقتصاد

غيرهم...

ولتحفيز مجتمعات

لا تمتّ إليهم بصِلة،

وتركوا أبناء جلدتهم،

الفقراء،

يلحسون المبردَ

قطرةً...

قطرة،

حتّى سال الدمُ

واسمه: نذالة.

4

سيفًا

— وشهرَ الرسولُ — محمدٌ ﷺ

سيفَه في وجه أعداءِ دينِ الله،

فارتجفَ الخوفُ من صليلِه،

وجمدت الرهبةُ في حدِّه،

وتوقفت الشمسُ

خشيةً

من صلابته،

من سطوته،

من نور الحقّ

في قبضته.

5

عندما تقنع الأشياء

عندما يصبح الشعرُ

غيرَ شعر،

والأدبُ

غيرَ أدب،

والموسيقى

صدى لا يُطرب،

والفنُّ

ظلًّا بلا روح...

فقلْ:

على الدنيا السلام.

6

زيتون أورشليم

لمّا وطأت أقدامُ السيّدِ المسيح،
عليه الصلاة والسلام،
أرضَ أورشليم،

انتصبت أشجارُ الزيتون،
وأغصانُها
تُكبِّرُ:
الله أكبر، الله أكبر...

حتى بلغت أصواتُها
عَنانَ السمواتِ السبع.

7

هدوء ما قبل الغرق

لا شيء
يوحي بنجاة السفينة،
السياحيةِ الكبيرة،
من الغرقِ المحتَّم—
لا مَن فيها،
ولا مَن عليها...

إلا حالةُ الطقس،

حركةُ الرياح،

وانخفاضُ الموج.

8

جندي في وطنه

تشبهُ جنديًا

فَرَّ من ساحةِ القتالِ

المشتعلة،

أو آخرَ

واقفًا على الخطوطِ الأمامية،

ينتظرُ حتفَه

في كلّ لحظةٍ

وكلّ حين.

9

تفاح بسكنتا

كلّما طلعت

شمسُ الصباح

فوقَ جبل صنين،

تهتزُّ أشجارُ

بساتينِ التفاح،

في "بسكنتا" الفاخر،

فرحًا...

وطربًا.

10

زمن الخديعة

كأنَّ ما مضى

يتكرّر اليوم،

لكن بأساليبٍ

أكثر دهاءً،

وأشدّ وجعًا...

حصارٌ اقتصادي،

احتلالٌ مُبطَّن،

استعمارٌ لا يرفع راية،

وجواسيسُ

ينشرهم العدوّ بالمئات

لزعزعةِ الأمن،

لنسفِ الاقتصاد،

ولكسرِ صمود المواطن.

اللبنانيّ

محرومٌ من أبسطِ حقوقه،

من لقمةٍ كريمة،

ومن حياةٍ آمنة.

الاحتلال...

لا يزالُ حاضرًا

بكامل قُوَّته.

فلا يُقنعكم أحدٌ

بعكسِ ذلك.

11

ما بين الجبلين

ما بين جبلِ صنين

وجبلِ الشيخ،

تتردّدُ همساتٌ نديّة،

تسابيحُ صباحية،

صلواتٌ مسائية،

تهاليلُ ربّانية،

نصوصٌ شعريّة،

ومقاطعُ موسيقية…

قلبًا وقالبًا،

كأنهما

في تناغمٍ،

وتجانس،

وتلاحمٍ،

وتكاتفٍ

تامّ.

12

بعضك كل الأشياء

لا شيء أفتقدهُ

في غيابك...

لا شيء

بتاتًا،

سوى ابتسامتك النديّة،

روحك المرِحة،

— وعطرِك

— ذلك المسكُ الأبيضُ الفاخر

الذي كان يملأ المكان...

رقّة،

عذوبة،

نعومة،

أنسًا،

هناءً،

غبطةً،

وسعادة.

13

حين أكتب الشعر

عندما أكتبُ الشعر،

تتحرّكُ الأفلاكُ الكونية،

والمداراتُ الخارجيّة،

...في رأسي

عندما أكتبُ الشعر،

تغربُ شمسٌ،

وتطلعُ أخرى.

يغيبُ قمرٌ،

ويولدُ آخر.

تسطعُ نجمةٌ،

وتنطفئُ أخرى.

عندما أكتبُ الشعر،

يهتزُّ الكونُ

في قلبي الصغير—

عشراتِ المرّات.

14

صباح الشوف

يوميًّا،

يفردُ الصباحُ

أجنحتَه الواسعة،

الجلية،

فوق جبالِ الشوفِ البهيّة،

ولسانُ حاله يقول:

— ولله المثلُ الأعلى

أي وصفٍ،

لا يُشبه وصفًا

سواه.

15

اتبعوا الرسول

وجاء من أقصى المدينة،

رجلٌ يسعى،

وقال:

يا قومي،

اتبعوا الرسول!

فقتلوه…

شرَّ قتلة.

هو الآن

يتنعّم في الجِنان،

وهم

يُعذَّبون في النيران.

16

في حضرة الخالق

كانت الشمسُ

تصادرُ أشعّتها الذهبيّة،

والبحرُ

يُسرّحُ زبَدَه،

والكونُ

يلتقطُ أنفاسَهُ

بصمتٍ،

ورَهبة،

وهدوءٍ،

وسكينةٍ،

وإمعان...

عندما نادى الملكُ العظيم

من السماوات العُلى،

بأعلى صوتِه:

"سبحانَ الذي بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيء،

وهو بكلِّ خَلقٍ عليم."

17

مفترق الوجع

يبدو أن لبنانَ

وشعبَه اللبنانيّ

يواجهان خيارين مفصليّين:

—لا ثالث لهما

إما التطبيعُ مع العدوّ الصهيونيّ الغاشم،

أو الموتُ قهرًا...

فقراً...

وجوعاً.

18

قصيدة تشبه الضوء

فكّرتُ أن أكتبَ قصيدةً

فريدة،

مختلفةً

عمّا يشبهها...

أو يُماثلها،

قصيدةً

مميّزةً بكلِّ ما في الكلمةِ

من معنى،

تحاكي وجهَ الصباح،

أنوارَه،

ابتسامته،

ونجمةَ المساء...

19

في وحدة المدى

أيّها البحرُ الهادئ،

أنا تدفُّقُ موجاتِك...

فلا تجزع!

أيّها القمرُ المنير،

أنا نورُك...

فلا تنطفئ!

أيّتها النجومُ المتلألئة،

أنا توهُّجُكِ في الظلمة...

فلا ترتاعي!

أيّها المدى،

أنا صوتُك...

فلا تخفت.

20

الأسطول في رأسي

عندما أفكّرُ بكتابة

"قصيدة"،

يعملُ دماغي

بقوّةٍ فائقة،

جودةٍ عالية،

ودقّةٍ...

متناهية!

كأنني أُحرّكُ أسطولًا بحريًّا
كاملًا،
في محيطِ البحر الهادئ،
أو قلبِ البحرِ الأبيضِ
المتوسّط،

أو أُطلقُ
سربًا من الطائراتِ الحربيّة
المُقاتلة...
بلحظات!

شيءٌ
لا يُصدّقُ إطلاقًا،
ولا يخطرُ على بال.

21

تراتيل الجبل

"كانت "بسكنتا
"تعانق "صنين"،
"و"صنين
"يعانق "جبل الشيخ"،
"و"جبل الشيخ
يعانق السماء...

السماء الممتدّة

حتى

الأبديّة.

22

صنين يكتب

كان جبل "صنين" الباسق،

الممتدّ على سفوح "جبل الشيخ"،

يُطلق أحيانًا العَنانَ

لمخيّلته الشاسعة…

فيُصدر عشراتِ الأشعار،

تعرفها ربوعُ "بسكنتا"

جيّدًا.

23

هذا هو توقيعي

سأكتبُ شعرًا

مختلفًا…

كليًّا،

عن سائرِ الشعراء.

مختلفًا في الوقع،

في الإيقاع،

في النصّ،

في الشكل،

وفي المضمون.

قصائدُ

من عوالمَ أخرى...

وُجدت لتبقى.

24

قصيدة القدر

لا شيءَ

يحدثُ عبثًا

في هذا الكونِ العظيم،

ولا عن طريقِ المصادفة.

صدقني، عزيزي...

كلُّ شيءٍ يجري

— كما خُطّط له مسبقًا

حتى آخرَ بيتٍ

في القصيدة!

أقدارُنا...

أعمارُنا...

أرزاقَنا...

أنفاسُنا...

حياتُنا وموتُنا...

مكتوبةٌ لنا،

وبالتمامِ التمام.

رُفعت الأقلام،

وجفّت الصحف.

25

رشفات على الكورنيش

لا شيء

يُعدِل لذّةَ

احتساءِ فنجانِ قهوة،

على كورنيشِ

عينِ المريسة،

صباحًا...

لذّةٌ

لا تُشبهها لذّة،

ولا تُضاهيها

أيّة متعة.

هدوء،

سعادة،

سكينة،

وراحةٌ نفسيّة...

لا تُوصَف.

26

دوامة لا مرئية

عندما يتقمّصُ الزمانُ

غيرَ الزمان...

تصبحُ الأيامُ غيرَ الأيام،

والأماكنُ غيرَ الأماكن،

والحياةُ...

غيرَ الحياة!

تشعرُ

كأنّ الفضاءَ

يُطبقُ عليك،

ثمّ يعودُ

فيتّسعُ

شيئًا... فشيئًا،

لتجدَ نفسك

وسطَ دوّامة،

ومتاهاتٍ

لا حصرَ لها،

يمليها عليكَ

عالمُ الوجود...

بكلّ دهائه،

وخِفّته.

27

ما بين بسكنتا وصنين

"ما بين قرية "بسكنتا"،

"وجبلِ "صنين"،

"و"جبل الشيخ"...

فلسفةٌ

جسّدَتْها الطبيعة،

بكلّ معالمِها الأثريّة،

ومَناظرِها الخلّابة،

فانسكبتْ

في كتبِ الفلسفة،

وعلى جبينِ الزمان.

28

الغلبة للعدل

"الغلبة للأقوى"...

"حُكم قراقوش"!

معادلةَ فاسدة،

خاطئة،

لا قيمةَ لها،

ولا وزن،

ولا اعتبار!

بل الغلبةُ

دومًا...

للحق،

للعدل،

— وللعدالة

أينما حلّت،

أينما وُجدت.

29

الناجي من الفرمان

"لا يزالُ اسمُ الطبيبِ "ناضر عون

محفورًا

داخل كهوفِ ومغاورِ "بسكنتا"...

كيف لا؟

وهو الذي نجا بنفسه،

وخَلّص روحَه

سنةَ 1916،

من فرمانِ السلطان العثماني

"جمال باشا"،

ذاك الذي قضى

بأن يُعلّق في الساحة،

متدلِّيًا

على العامود!

30

القصيدة بدل اليخت

طلبتْ منّي أن أُهديها

يختًا.

فقلتُ لها:

رحمكِ اللّٰه، يا امرأة!

عن أيّ يختٍ تتحدّثين؟

ألا تعلمين

أنني شاعرٌ

لا مالَ لديّ،

ولا شيء...

من ذلك القبيل؟

لا أملكُ

سوى أوراقٍ بيضاء،

وقلمِ حبرٍ أزرق...

ناشف،

ومجموعةِ أفكارٍ

مُبعثرة،

متناثرة،

مُشتّتة…

ما بين السماءِ والأرض،

البحرِ واليابسة،

الجبالِ والوديان!

فمن أينَ

سيأتي اليخت…

يا لامار؟

31

شارلوت والخذلان

هامَ ذاك الشابُّ المقاوم،

الجنوبيُّ الفذّ،

في سحرِ تلك البلجيكيّةِ

الفتّانة…

"شارلوت"،

التي التقاها

في ملهًى ليليٍ

بـ"سيراليون".

سقطَ في شِباكها،

وأسقطَ معه:

المحلّة،

البلدة،

الحارة،

ورفقةَ الدمِ والسلاح —

بقبلةٍ واحدةٍ…

نديّة،

ولذّةٍ…

عابرة.

32

الفساد الشامل

السياسةُ

أفسدتْ كلَّ شيءٍ تقريبًا

في لبنان.

أفسدتْ الهواء،

البيئة،

الأنهار،

ضفافَ الأنهار،

مجاريَها…

أفسدت المصارف،

القضاء،

الجامعات،

البحار،

شواطئ البحار،

العسكر...

السياسةُ

أفسدتْ

كلّ شيءٍ تقريبًا

في بلدي العزيز:

"لبنان".

33

حين يسقط القناع

وفجأة...

تتغيّر ملامحُ وجوههم!

من وجوهِ بشرٍ عاديّين،

إلى وجوهِ أبالسة،

وشياطين!

مجموعةٌ

من الشياطين،

الأبالسة،

والمعتوهين...

يحكمون هذا العالم،

ويدفعونه

نحو الحضيض،

نحو الخراب،

والدمار،

وأسفلِ سافلين.

34

ضياع الفكرة

إلى والدتي العزيزة...

امنحيني قليلًا

من الهدوء الفكري،

بعد إذنك،

لو سمحتِ.

فإلحاحُكِ عليّ،

وفي هذا الوقت بالذات،

حين أكتب الشعر،

يجعلُ الأفكار

تتّجه إلى معانٍ أخرى،

اتجاهاتٍ أخرى،

أماكنَ أخرى...

يصعبُ عليّ بعدها

أن أستعيدها،

أو أضبط النصّ الشعري

كما طُبع في فكري.

35

شاعر لا يمر مرورًا

وكانت قصائدُه

التي كان يكتبها،

— أشبهَ بمقاطعٍ موسيقيّة

مدروسة،

موزونة،

متقنة،

ومحكمة.

لم تكن مجرّدَ قصائد

عابرة…

هكذا،

وانتهى الأمر!

لا، بتاتًا…

كانت قصائدُه

تخترقُ جدارَ الصمت،

وتحلّ…

في الوجدان.

36

غياب القصيدة

لا شيء يوحي
بولادة قصيدةٍ هذا المساء...
فأبوابُ الخيالِ مُوصَدةٌ
على مِصراعَيها،
ومفاتيحُها مُلقاةٌ
في أرضِ بُورٍ، فلاةٍ
مسكونةٍ، مأهولةٍ
بالشياطين...

37

جوهر الحرف

سلسلة ذهبية

كلّ القصائد التي كتبتُها
في الأمس،
وفي هذا الحاضر المُتوَهِّج،
وفي الغد الذي لم يولد بعد...
— كانت — وما زالت
أشبهَ بسلسلةٍ من ذهب،
تتشابكُ حَلَقاتُها
برفقٍ وإتقان،
لتقودني نحو
فكرةٍ واحدة،

عميقة،

راسخة...

لم تنضب بعد،

ولن تنضب.

38

حين يأكل الفقر الكرامة

لم أعُد أحتمل رؤية

أولئك الشبّان...

والعجائز...

وبعض النسوة أيضًا،

ينبشون القمامة

بحثًا عن قصعة طعام،

أو رغيفٍ يابسٍ

نسيه أحدهم في سلة النفايات.

في الشهر الفائت،

رأيتُ امرأةً مسنّة

تقتات من القمامة...

فانطفأت شهيتي للطعام

أيامًا.

يا رب،

ارحم الفقراء،

والمحتاجين،

والمعدَمين،

والمعوزين

في هذا الوطن...

في لبنان.

39

مجلس سليمان...والشعر

ذاك الكائن الغريب،

الذي يُملي على قريحتك

الشِّعر...

ما هُو؟

أمِن الطيّارين؟

أم من الغطّاسين؟

أم من السّبّاحين؟

أم الجوالين في أرجاء المعمورة؟

هل هو من خُدّام أحد الملوك؟

أم من أعوانهم؟

أم من أولئك الذين شهدوا ملك سليمان،

وحضروا مجلسه،

وسمعوا حِكَمَه ومواعظه؟

أم أنه من جماعة ذاك الملعون؟

ذاك الخبيث؟

مستحيل!

لا تُقنعني...

فالشعرُ شعورٌ عظيم،

يتفجّر من أعماق الشاعر،

ويستحيلُ على ذلك المخلوقِ الضعيف

أن يكتب،

أو يُصاغَ على لسانه

حرفٌ واحد،

إلّا بمساعدة "أحدهم"...

لا تُقنعني بغير ذلك،

يا عزيزي...

40

لا تعطني الناي

لا تُعطني النايَ،

ولا تُغنِّ...

فالغناءُ يُنبتُ النفاقَ

في القلب،

كما ينبتُ العُشبُ

على الصخرِ الأصمّ.

لا تُعطني الناي،

ولا تَرفعْ صوتكَ

حُبًّا بالله،

وملائكته،

وكُتُبِه،

وأنبيائه،

واليومِ الآخر...

فلم يكنِ الغناءُ يومًا

سرًّا من أسرارِ الوجود،

فكيفَ خَلُصتَ أنتَ

إلى ذلك؟

41

الحِملُ الثقيل

لن أكتبَ الشِّعرَ هذا الصباح،

فقد فكّرتُ أن أُعفيَ قلمي

وأُمهلَ أفكاري

قليلًا من الرّاحة.

أن أدعها تنسلُّ

من قبضة الحروف،

وترتاحَ من هذا الحِملِ الثقيل،

الذي يُلقيهِ عليَّ الشِّعرُ

من كلّ الجهات،

ومن كل الجوانب .

الخاتمة

على ضفاف الحروف

محمود سليمان الظاظا

ها أنا أطوي الصفحة الأخيرة، وأُسلم الحرف إلى سكونه المؤقت، بعد أن قال ما استطاع من وجعٍ، وما استطاب من حب، وما خبّأته الروح بين السطور.

ليست النهاية، بل وقفة عند ضفاف التعبير، حيث تستريح الحروف قليلاً، قبل أن تعود إلى مدّها وجزرها، إلى دهشتها الأولى، وإلى نارها الهادئة التي لا تنطفئ.

قد لا تكون القصائد قد قالت كل شيء، لكنّها لامست ما لا يُقال، وأشارت إلى جهاتٍ في القلب لا تُرى، إلا بعين الشعر.

أشكر كل من عبر هذه الضفاف، بقلبه، أو بصمته، أو حتى بحنينٍ يشبه حنيني.

وأعدكم أن الحرف... ما دام في القلب نبض، لن يتوقّف عن المسير.

محمود سليمان الظاظا

على ضفاف الحروف، حيث كل شيء يبدأ.